حـــوار

ضاقت قريش وزعماؤها بدين محمدٍ وأتباعه، وأحسُّوا أنَّ هذه المبادىء التي ينادي بها النبيُّ ويدعو إليها، أخذت تنتشر وتذيع، ويكثر أتباعها والمؤمنون بها، وفي ذلك ذهابُ دولتهم، والقضاء على رياستهم وسلطانهم.

واجتمع شَمْلُ الرؤساء من قريش، والصناديد[1] من أهل مكة، يفكرون ويديرون؛ واستقر رَأيُهم على أنْ يتحدَّثوا إلى محمدٍ في هذا الأمر الذي شغلهم وأقضَّ مضاجعهم، وهدَّد كيانهم، وقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه في هذه الدعوة التي يحاول أن يدكّ بها صَرْحَ قريش، وينال من دِينها وزعامتها، فإذا استطعنا إقناعه بالحجة والبرهان كان ذلك خيراً لنا ولبلدنا الحَرَام، وإن أبى أن يُصْغِيَ إلى حديثنا ويستمع إلى رأينا كنا قد حذّرناه مَغَبَّة أعماله، وبيّنا له عاقبة أمره، ولنا ـ بعد ذلك ـ أن نفعل به وبأتباعِه ما نريد.

وبعثوا إليه: إن أشرافَ قومِك اجتمعوا لك ليكلِّمُوكَ في شأن هذا الدين الجديد الذي تدعو إليه.

ومحمد نبيٌّ كريم، يدعو إلى الإخاء، ولا يسعى إلى الشقاق، وهو حريص على قومه، يحب رشدهم ويعز عليه تعنتهم، وهو مع ذلك يودّ لو رجعوا عن غيهم وعادوا إلى صوابهم، واستجابوا إلى دعوته، وانضموا إلى زمرة أصحابه، وكانوا جميعاً على دين الله إخواناً.

لذلك أسرع النبي إلى لقائهم، وجلس إليهم، يصغي إلى حديثهم، وهو يشكر الله أن تهيّأت له هذه الفرصة التي سيعرض لهم مبادىء دينه، ويحاول إقناعَهم وإنقاذهم من ضلالهم.

وبدءوا الحديث يُغرونه بالمال والجاه، والشرف والملك؛ قالوا: يا محمد، إنا والله

---

(١) الصنديد: الشريف الشجاع، صناديد جمع صنديد.

ما نعلم رجلاً من العرب أدْخَلَ على قومِه ما أدخلتَ على قومك، لقد شتَمْتَ الآباء، وعِبْتَ الدِّين، وسفّهت الأحلام، وسببت الآلهة، وفرَّقْتَ الجماعة، وما بقي من أمرٍ قبيحٍ إلا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك. فإن كنتَ إنما جئْتَ بذلكَ كلِّه لتطلبَ به مالاً جمعنا لك من أموالنا ما تكونُ به أكثرنا مالاً، وإن كنْتَ إنما تطلبُ الشرفَ والرياسة فينا سوَّدْنَاكَ[1] علينا، وإن كنت تريد مُلْكاً ملّكناك. وإن كان هذا الرِّئيّ[2] الذي يأتيك تراه قد غلب عليك، بذَلْنَا أموالنا في طلب الطبّ حتى نبرئكَ منه أو نُعْذر فيك.

وعجب الرسول ﷺ من حديثهم، إذا خالهم قد رجعوا إلى الحقّ، وعادوا إلى الصواب، ولكنه رآهم ما زالوا سادِرين في غيِّهم، يظنُّونَ به السوء، ويزعمون أنه يطلب السؤدد والغنى والمال والشرف، فيقول: «**ما بي شيءٌ مما تقولون، وما جئتُكُمْ بما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا للشرف فيكم، ولا للملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رَسُولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالةَ رَبّي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليّ ولم تَقْبَلُوه، أصبِرْ لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم**».

ولما سمعوا حديثه، ورَأوْهُ مُصِرّاً على دعوته، متمسّكاً بدينه، اتَّجَهُوا في المحاورة وجهة جديدة، يتحدَّونَ بها محمداً، علّهم يُضْعِفُونَ من عزمه، ويثنونه عن طريقه: قالوا: يا محمد، فإن كُنْتَ غير قابل منا ما عرضناهُ، فقد علمتَ أنه ليس من الناس أحد أضَيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منّا؛ فسل لنا رَبَّكَ الذي بعثك بما بعثك فلْيُسَيِّر عنَّا هذه الجبال التي ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، ويجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وأنْ يبعث لنا مَنْ مضى من آبائنا، وليكُنْ مِمَّنْ يبعث إلينا منهم قصيّ بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول، فلعلهم يؤيّدونك في زعمك، ويُشيرنّ علينا بجميل الرأي فيك. فإنْ صنَعْتَ ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وصدقنا أنه بعثك بالحق رسولاً كما تقول.

فازْدَاد عجبُ الرسولِ ﷺ من هذا الحوارِ العقيم، وقال لهم: «**ما بهذا الذي تذكرون**

---

(١) سَوَّد فلاناً: جعله سيداً.

(٢) الرِّئي: الجني يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب.

بُعِثت، وإنما جئتكم من عند الله سبحانه بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلتُ به إليكم، فإن تقبلوا فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه أصبر لأمر الله، وهو نِعْمَ المولى ونعم النَّصِير».

وبدا لهم تمسّكه بدعوته، وقوته في الردّ عليهم، فساروا في الحوار إلى طريق آخر، قالوا: فإن لم تَفْعَلْ هذا فَسلْ رَبَّك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك، وسَلْه ليجعلَ لك جناناً وكنوزاً وقُصُوراً من ذهب وفضة، فيغنيك بها عما نَرَاك تُشْغَل به من شؤون الدنيا، فإنك تقوم في الأسواق، وتلتمس المعاش، وتسعى للحصول على ما تَحْتَاجُ إليه من الرزق.

قال الرسول ﷺ ـ ثابتاً على الحق، متمسكاً بالدين ـ: **«ما أنا بالذي يسأل ربه مثل هذا، وما بُعثت به إليكم، ولكن الله تعالى بعثني بشيراً ونذيراً»**.

واستمرُّوا في مكابرتهم وتحدّيهم للرسول الكريم، فقالوا: فأسْقِطْ علينا كِسفاً من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فَعَل. قال الرسول ﷺ: **«ليس ذلك إليّ، ولكن الله هو القادرُ على كل شيء، وهو إن شاء الله فعل»**.

وأَعْيَتْهم حجته، وسدّت عليهم مسالِك الحوار، ولكن قائلاً برز من بينهم يرمي بآخر سَهْم في جُعبة القوم، قال: يا محمد، لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قَبِيلاً [1]، وقال آخر ـ يؤكد هذا القول، ويسدده ويشرحه ويفسره ـ لا أُومن بك حتى تتخذَ إلى السماء سلَّماً، وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي لنا بنسخةٍ منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنَّك بُعثت إلينا رسولاً، يدعو إلى التوحيد، ويبشر بدين جديد.

وهنا ظهر تعنّتُهم البالغ، بعد ما عجزوا عن إغرائه، وصرْفه عن دعوته، فترك الرسولُ مجلسهم، وفارقهم إلى أهله كاسفَ البال حزيناً، فقد فاته أمْرٌ يحرص أشد الحرص عليه، وهو متابعة قومه له، ودخولهم في دعوته، وصلاح أمرهم باتباع هذا الدين الذي يجاهد في سبيل نشره.

وقد سجل القرآن الكريم هذه المحاورة التي ظهر فيها الحقُّ قوياً واضحاً، وبدا

---

(١) قبيلاً: مقابلة وعياناً نراهم.

الباطل ضعيفاً متعنّتاً، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ[1] أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[2].

وذلك ليرى ذوو الرأي السليم أي الطريقين خير مقاماً، وأيهما أضلُّ سبيلاً.

---

(١) زخرف: ذهب.

(٢) سورة: الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.

obeikandl.com